

مقتل سليمان

حسن البراري



السبت 4 يناير 2020 04:24 ص

مقتل سليمان

إيران في ورطة كبيرة إذ يتعين عليها - بدلا من وكلائها - توجيه ضربة عسكرية بهدف قتل أميركيين. قاسم سليمان يجسد روح التحدي الإيرانية للهيمنة الأميركية ويمثل أيضا رأس حربته بمشروع إيران الإقليمي. لا يمكن للنظام الإيراني مهما كان متعقلاً ألا يرد على هذه الإهانة التي جاءت بتوقيت حساس بالنسبة لإيران. الرد الإيراني القادم قد يستلزم رداً أميركياً آخر أي سلسلة من سوء التقديرات المتبادلة فانزلاق إلى حرب لا يرغب بها أحد.

* * *

جولة أخرى من المواجهة الاستراتيجية بين الولايات المتحدة وإيران تنتهي بمقتل الجنرال قاسم سليمان، وبذلك توجه الولايات المتحدة صفة لهيبة النظام الإيراني وبخاصة وأن قاسم سليمان يجسد روح التحدي الإيرانية للهيمنة الأميركية ويمثل أيضا رأس حربته في المشروع الإقليمي لإيران.

الإدارة الأميركية تريد أن تستعيد قوة الردع وتعيد التأكيد على الخط الأحمر الأهم في المواجهة مع إيران، من هنا نفهم أن قتل أي أميركي هو أمر لن يمر من دون رد صارم حتى لو تطلب الأمر استهداف رموز النظام الإيراني.

فالتصريحات التي تأتي من واشنطن تعكس فهما مختلفا عما تقوله إيران، فقاسم سليمان هو من نظم الزحف على سفارة الولايات المتحدة في العراق، وعليه استنتجت الولايات المتحدة أن سليمان كان يخطط أيضا لاستهداف الجنود الأميركيين في العراق وهو أمر لا يمكن للرئيس ترامب أن يتعايش معه.

لكن في الوقت ذاته لا يمكن اعتبار الضربة الأميركية كأى ضربة سابقة، فالنظام الإيراني يشعر بإهانة شديدة وعليه الآن أن يرتقي لمستوى التصريحات التي كان يطلقها ضد الولايات المتحدة، وعليه لا يمكن للنظام الإيراني مهما كان متعقلاً ألا يرد على هذه الإهانة التي جاءت بتوقيت حساس بالنسبة لإيران.

فالولايات المتحدة بهذا المعنى لم تعد تكتفي بممارسة سياسة الضغط الأقصى عن طريق العقوبات وإنما استهدفت إيران مباشرة. النظام الإيراني بات يشعر كمن يقاتل متكئا على كعب قدميه، لكن في الوقت ذاته لا يمكن للنظام الإيراني أن يأتي برد دون الأخذ بالحسيان أن الرد الإيراني القادم ربما يستلزم رداً أميركياً آخر ما يعني سلسلة من سوء التقديرات المتبادلة وبالتالي الانزلاق إلى حرب لا يرغب بها أحد.

ما من شك أن التصعيد العسكري هو خطر، فلا إيران بحاجة له وبخاصة وأنها تعاني من حصار وعقوبات حرمت النظام الإيراني مما يقارب من مئة مليار دولار سنويا، ولا الولايات المتحدة بحاجة إلى حرب إضافية في الشرق الأوسط وبخاصة وأن الحرب هي آخر ما يحتاجه الرئيس ترامب في موسم الانتخابات الرئاسية بعد أن قام مجلس النواب من الكونغرس بعزله.

طبعاً مقتل سليمان يجسد محطة مفصلية في العلاقات بين طهران وواشنطن، لكن بتقديري فإن إيران أصبحت في ورطة كبيرة، فللمرة الأولى يتعين على طهران - بدلا من وكلائها - توجيه ضربة عسكرية بهدف قتل أميركيين.

وأى عمل أقل من ذلك سيعكس خوفا وترددا إيرانيا استمرت طهران كثيرا في اثبات عكسه وإن كان لفظيا. لكن إذا ما قامت إيران بعمل كهذا فإنها ستخرج الرئيس ترامب الذي سيفضي إلى رد أمريكي أكثر ضراوة، فأميركا أسست لحالة من الردع تتضمن ضرورة أن يكون الرد الأمريكي ردا قاسيا ومؤلماً.

صحيح أن الجنرال قاسم سليمانى هو مسؤول عن مقتل المئات بل آلاف من العراقيين والسوريين، وهناك من يرى بأن نظام الأسد ما كان سيصمد أمام الثورة السورية لولا مساهمة قاسم سليمانى واستهداف السوريين، لكن قد يفتح اغتيال سليمانى صفحة جديدة عنوانها المواجهة المفتوحة وما يمكن أن تتطور إليه الأمور.

الجانب الأمريكى يتحدث عن إيجابية هذه الخطوة لأنها ستردع إيران في قادم الأيام، فإيران بهذا المعنى وإن كانت تمتلك إمكانات عسكرية معقولة إلا أنها ليست كافية لأن تخوض مواجهة مفتوحة مع الولايات المتحدة التي يميل ميزان القوى لصالحها بشكل فادح. من المبكر التوقف عند طبيعة الرد الإيراني، ولا عن مكان الرد الإيراني ولا حتى شكل الرد الإيراني، وبتقديرى فإن شكل هذا الرد سيرسم ملامح المواجهة في الأشهر القادمة.

* د. حسن البرارى أستاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأردنية